منذر مصري

سوف تذكرين ..
كلما أطفات الأضواء
أعود وأبحث عن المفتاح فى كل جيوبى
لأفتح الباب وأضىء النور
وآأخذ الشىء الذى كنت حريصًا
على أن أنساه
ونسيته

(الخاطر الذى بحت لك به)
ديوان (مزهرية على هيئة قبضة يد)

نَقَّى نفسه من الفوائد المرجوة !

لعل واحدة من نجاحاته الشعرية . . أنه انفلت مبكراً وبوضوح من الفضاء الماغوطي لقصيدة النثر . أقصد ذلك الظل الوارف لقصيدة محمد الماغوط على شعراء قصيدة النثر ، ليس فى سوريا وحدها ، ولكن على امتداد حركة الشعر العربى الحديث . . .

ولعل أكثر نجاحاته الشعرية – على الرغم من تعثراته وتلعثماته الكثيرة– تلك الخصوصية التى يصعب فيها أن تمر قصيدته ، دون أن نلحظها ، مثلما يصعب أن يمر هو دون أن نتوقف أمامه . .

شاعر لا يقلد أحداً . . ولا يطمح أحد بعد إلى تقليده . .

منذر مصرى ..

شاعر وفنان تشكيلى سورى(*) .

ولد باللاذقية عام ١٩٤٩ . .

درس الاقتصاد بجامعة حلب ، ثم أكمل علومه فى بولونيا .

أول مجموعاته الشعرية بعنوان (**بشر وتواريخ وأمكنة**) عام ١٩٧٩ .

ثم (**أنذرتك بحمامة بيضاء**) عام ١٩٨٤ بالاشتراك مع أخته مرام مصرى ومحمد سيدة وأخيراً ديوانه الثانى أو الثالث أو ربما الرابع (**مزهرية على هيئة قبضة يد**) عن دار رياض الريس – لندن ١٩٩٧ .

(*) جريدة أخبار الأدب – القاهرة – ٨/ ٩/ ٢٠٠٢م .

١٨ عامًا بين الديوان الأول والديوان الثانى ، بينهما ثلث ديوان كما يحب أن يسمى (**أنذرتك بحمامة بيضاء**) واستعصاءات عديدة على النشر ، انتهت دائمًا بحفظ قصائده أو إتلافها . . فى عام ١٩٨٩ أصدرت وزارة الثقافة السورية ديوانه (**داكن**) لكن فور صدوره قامت بإتلاف النسخ جميعًا بسبب قصيدة (ساقا الشهوة) !!

وبرغم أن تلك القصيدة ضمها ديوانه (**مزهرية على هيئة قبضة يد**)، فقد سبق الشاعر أيضًا إن قام بإصدارها فى كراسة خاصة مطبوعة على الآلة الكاتبة تحت عنوان (**ساقا الشهوة .. منذ ريوس مصريام**) ، مع مقدمة طويلة تشرح مسعى بولس الرسول فى الدفاع عن الجسد .

(منهجية شعراء السبعينيات نفسها فى مصر فى مواجهة صعوبات ومشكلات النشر أوائل السبعينيات بإصدار عديد من المجلات والكراسات المطبوعة على الآلة الكاتبة ، فيما سمى فى ضوء تقييم التجربة بثقافة الماستر) .

(مزهرية على هيئة قبضة يد) نتاج تجربة متعثرة فى النشر ، ورغبة فى التواصل فهو أشبه بالمختارات الشعرية متعددة الزوايا والمستويات ، ينقسم إلى ١٢ قسمًا تضمن ٣١ قصيدة غير منشورة ، عبر مراحل مختلفة للشاعر دون تحديد للتواريخ .

تكشف عناوين الأقسام بالديوان ، كما تكشف عناوين القصائد أيضًا إحدى ملامح منذر مصرى ، حيث العنوان تكثيف للقصيدة فى أغلب الأحيان ، وهو أيضًا فى أغلب الأحيان استلالاً من بؤرة النص ، الذى يكون غالبًا فى المقطع الأخير . . شىء أشبه بالحكمة أو القول المأثور ينهى به القصيدة . لكنه أيضًا ليس الحكمة تمامًا بل نقيض لها ، سخرية تعمل

على تخريب كافة الأشكال الاستبدادية للمعرفة والثقافة المعممة والسائدة التى يجابهها بالقصيدة .

(**جميلة لدرجة تدفع النساء إلى الارتماء على أول رجل يقابلنه**)
(**تفوقت على فى كل شىء دون أن تقوم به**)
(**رجل ضل الطريق مرارًا فوصل إلى قلبى**) .

إنها طريقته لتحقيق قصيدة مطابقة للعنوان كليّاً ، دون أن يعنى ذلك صغر حجم القصيدة ؛ بل إن قصائد الديوان خاصة الطويل منها (**الناس**) (**كلما رأيت غرابًا طائرًا تذكرينى**) (**إن كان محتمًا على أن أعبد إلهًا**) توغل فى الشرح والاستطراد والتفاصيل الدقيقة ، دون اعتبار كبير للاقتصاد والكثافة ، دائمًا ما يقوم بشرح فكرة قالها منذ البداية ، قالها فى العنوان طموحًا لرؤية القصيدة من كافة جوانبها وبكل أبعادها . . مؤكدًا بقصدية يعمل عليها أن الشعر ليس حقلاً لتكثيف اللغة . . فما يحرص عليه فقط هو تكثيف الفكرة والمغزى والدلالة .

التفاصيل اليومية الصغيرة هى كل ما يمتلئ به الكتاب قصيدة (**اللحظة**) و (**التجربة الحياتية**) ، أو حتى ما أسماه جمال باروت (**شعر الرجل الصغير**) حيث يصدر عن رجل صغير ليذهب إلى رجل صغير آخر . . تلك عموميات تهم قصيدة النثر وشعراءها ، لكن الفارق هنا هو زاوية النظر التى يطل منها منذر مصرى نحو تفصيلاته ؛ حيث الذاتية الطامحة إلى عمومية تهم الجميع .

فى قصيدة (**الناس**) بالديوان شمولية تاريخية واقتصادية واجتماعية ذات عمق إنسانى وفلسفى على حين تعكس تجربة فردية مغرقة فى

الذاتية . إنه لا يكتب عن (الناس) بمنطق الشاعر الطليعى المتعالى على اللحظة فهو لا يهتم بالقضايا الكبرى والأيديولوچيا والحروب والسلام والعدالة . . فقط ينشغل بما يحدث حوله ما يلمسه مباشرة ، دون إعمال الخيال فيه ، ولعله يحارب الخيال حين يحول كل شىء إلى وقائع بشكل بسيط وعفوى . . بساطة تتدحرج فى اليومى ، وفى المفردة المتداولة يستبدل كلمة (يشرح) بكلمة (يبدأ) لأن الأولى غير متداولة :

لا تتكلم هكذا حماقات عن الناس
ماذا أنت لولا الناس
ضع هذا الكلام الذى أقوله لك الآن
كحشرة طنانة فى أذنك الوسطى
أنت لا شىء لولا الناس

تلك البساطة والعفوية هى (شاعريته) ، وهى نفسها خطر الكتابة من حيث مساحة النثرية المتعمدة ، وتلك الدقة المبالغة فى ذكر التفصيلات كما لو كنا أمام توثيق .

أنت أخى
عندما أتباهى أمامك
« فى ثلاثة أيام بددت راتبى »
أو عندما أتباهى أمامك
منذ ثلاثة أيام أحيا
وليس فى جيبى ليرة سورية واحدة

تفاصيل تندرج فى تقريرية جافة ، بحرص واقعى على الحكى والسرد بدقة ، بينما تكمن الشاعرية فى تلك الحالة والتجربة الحياتية ،

التى يقدمها فى كلية المقطع أو فى كلية القصيدة . . هكذا تطل قصيدته الجميلة (**لا تخبرنى مسبقًا أنك ستأتى**) المهداة إلى سعدى يوسف بناء على طلبه :

لا تخبرنى مسبقاً أنك ستأتى
لا حاجة للإيقاعات المبهمة
لا داعى للإشارات الوامضة
إذا رغبت وجئت لزيارتى
لا تبدل حذاءك
لا ترتدى أفضل ثيابك
إذا وضعت زينة
ربما لن أعرفك
أبداً لم يكن لديك عذر
لأن تقرع جرسى
وتنظر برهة أمام بابى
أو أن تحمل باقة أزهار
وتقول وأنت تمسح نعليك
مرتين وثلاث
إنها سبب تأخرى
...
تذكر
أنك حلم

تتناثر العناوين داخل الديوان مكونة عالمًا تتشابه مفرداته الصغيرة وزحامه اليومى .

فـى (**قصائد أخرى من الغرفة**) ويحتوى ٨ قصائد قصيرة ، نلمح الصمت يسكن الجمجمة والحجرات المجاورة جمجمة صغيرة جوفاء ، تفاصيل صورة شاحبة التقطت منذ زمن ، مرآة على الحائط . . قلم وأوراق وكتاب يتدلى نضعه على حافة الطاولة .

أما قصائد منذر مصرى الأيروتيكية ، والتى حاصرته لسنوات طويلة فى الفضائحية أحيانًا وفى المنع المباشر والمصادرة دائمًا . . فقد خصص لهما قسمين واضحين فى نهاية الديوان (**ساقا الشهوة**) ويحتوى على ٣ قصائد .

(**بولنيزات**) ويحوى ٥ قصائد ، جميعها تجسد رؤية الشاعر للجسد كجوهر للحياة كما تجسد ميله الصريح والمعلن نحو المتع الحسية . . متع الحواس كلها . . فالحب هو كل شىء بذاته ، دون أية رسالة لا شىء يزيد ولا شىء ينقص . . إنه مطحون ومعجون بكل شىء . . والمرأة هى امرأة فقط لا شىء آخر دون تحميلها بأية رمز ، ودون أن تختلط عليه بوطن أو قصيدة . إنها الرؤية الأيروتيكية الصريحة ، يتبع فيها منذ خطى معلمه بطرس الرسول فى قوله (**ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان بل ما يخرج منه**) إنجيل متى .

* * *